الدارة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس والعشرون (١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ)

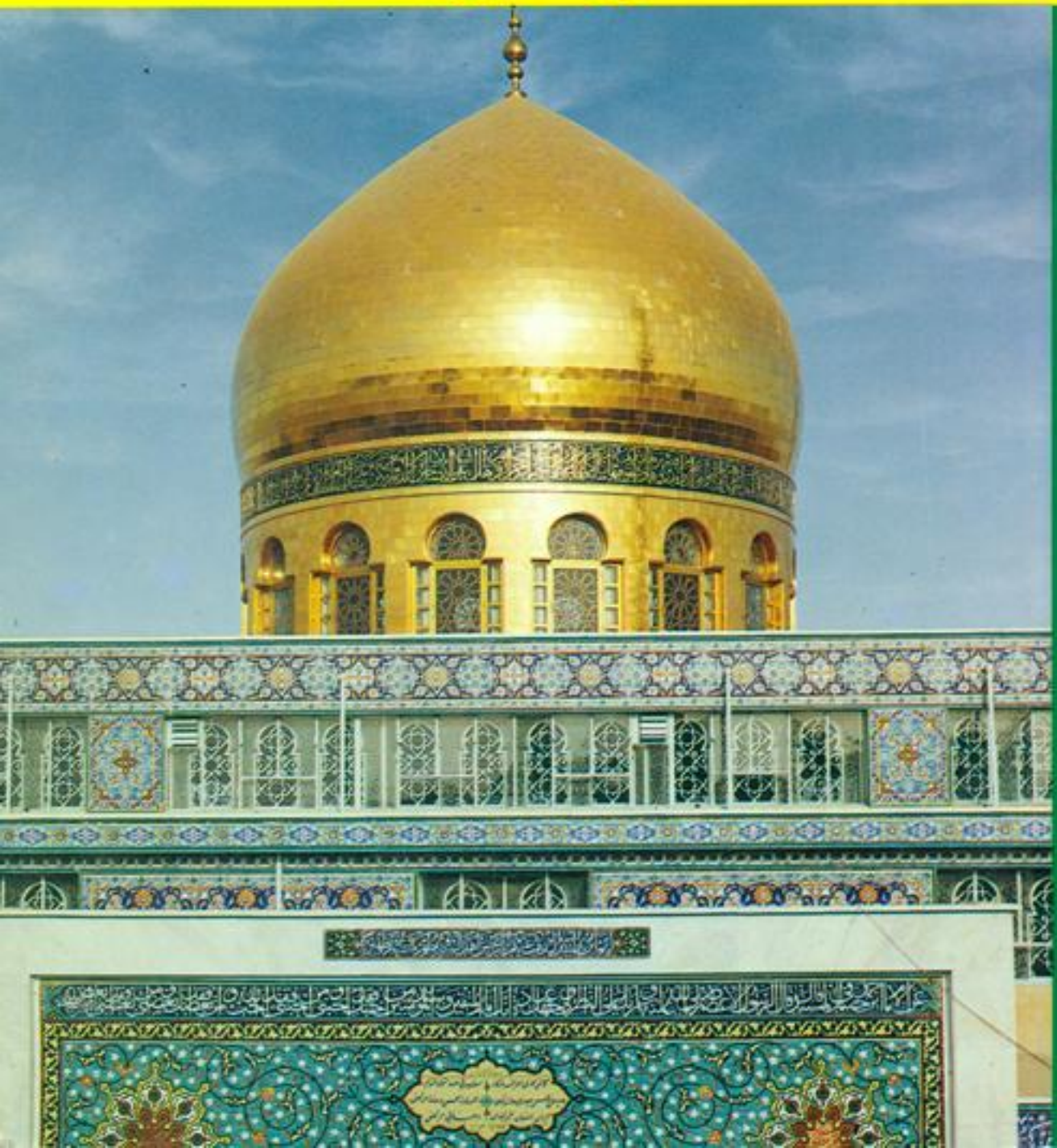

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

أكاديمية الكوفة

هولنده

المركز العالمي لدراسات أهل البيت عليهم السلام

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
FAX : 0031186616306

ISSN 1384 - 2773

المكتبة الملكية (هولندا - لاهاي)

زينب العقيلة عليها السّلام

بقلم: الشيخ عبد الله نعمة
لبنان

تعتبر السيدة زينب بنت علي من الشخصيات الفذة في سمو روحها، وعمق إيمانها، وشموخ كرامتها، وشجاعتها الفريدة في مواقفها يوم كربلاء وبعده.

وتأتي في ذروة الخطباء البارزين، فصاحةً وبلاغة وبياناً.

وقد عاشت أحداث الطف ومآسيها برؤية واضحة، ودعمت قضية أخيها الإمام الحسين المقدسة بكل أهدافها وأبعادها.

وكانت مواقفها يوم كربلاء وبعده لا تقل أثراً عن موقف أولئك الأبطال الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأنفسهم في سبيل الفكرة الحسينية النبيلة الهادفة إلى بعث الدعوة الإسلامية من جديد، بعد أن أجهز عليها الأمويون إجهازاً يكاد يكون تاماً، وأفرغوها من محتواها الأساسي، وانحرفوا بها عن مسارها إلى منعطفات جاهلية لا تمت إلى الإسلام بصلة، بتزييفهم النصوص القرآنية والسنة النبوية، وتفسيرها بما يتلاءم مع أهوائهم واتجاهاتهم.

وكان دور السيدة زينب في ذلك اليوم وما تلاه من أيام دوراً إعلامياً لإنماء القضية الحسينية تتعاهدها بالري والحياة، وإيقاظ ضمائر أولئك الذين كانوا نائمين.

كما كان دورها وجهاً آخر من وجوه النضال الذي مارسه أخوها الحسين والشهداء الذين معه، يتحد معه في وحدة الهدف والغاية.

وقد أتاحت لها تلك الظروف المريرة التي عاشتها بكل مآسيها وآلامها، أن تظهر على مسرح تلك الأحداث في الرعيل الأول من الخطباء، لما كانت تتمتع به من قوة الجنان وفصاحة اللسان، وجمال البلاغة وسحر البيان. مما لم نجده إلا في القليل من شخصيات النساء العظيمة التي عرفها التاريخ، التي قال عنها بعض من سمع خطبتها في الكوفة: «لم أر والله خفرة أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ على لسان أبيها أمير المؤمنين».

فقد كانت كلماتها وما أُثر عنها من خطب ومحاورات في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة، وفي مجلس يزيد بن معاوية في دمشق، تعمل عمل السحر في عواطف الجماهير، تثير ضمائرهم وإحساسهم بالإثم والخطيئة.

وقد حفظ الرواة من كلماتها وخطبها ما يعبر عن مواقفها النبيلة الشجاعة، وصرامة حجتها، وسحر بيانها وقوة شخصيتها.

استمع إلى قولها تخاطب عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد، وقد رأت أخاها الحسين وحيداً قد احتوشه أولئك الطغام: «ياعمر، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه»، فيطرق ابن سعد إطراق المهزوم الضمير والسخزي النادم، وتترقرق الدموع في عينيه، ويصرف وجهه، دون أن

يجيبها، لأنه لا يملك الإجابة.

وإلى قولها بعد انتهاء المعركة ومصرع أخيها الحسين وقد وقفت عليه، رافعة يديها نحو السماء: «اللهم تقبل منا هذا القربان» إنه كان ذلك أول جملة من بيان القضية المقدسة التي كافح الحسين من أجلها، ويترجم الهدف الرئيسي لهذه القضية ترجمةً صريحة وواضحة.

وقد حفظ الرواة خطبتها في أهل الكوفة وهم يبكون ويندبون، وقد أشارت إليهم بأن أنصتوا فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، وقالت بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله:

«أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الزفرة. إنما مثلكم «كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم.

هل فيكم إلا الصلف والعجب والشنف والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كمنصة على ملحوءة، ألا بئس ماقدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون! أجل والله، فابكوا فإنكم أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً. فقد ابتليتم بعارها، ومنيتم بشنارها ولن ترحضوها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة... وآي كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومنار محجتكم. ألا ساء ما قدمتم لأنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم. فتعساً تعساً، ونكساً نكساً. لقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضرب عليكم الذلة والمسكنة.

أتدرون ـ ويلكم ـ أي كبدٍ لمحمد فريتم، وأي عهد له نكثتم، وأي كريمةٍ له أبرزتم، وأي حرمة له هتكتم، وأي دم له سفكتم؟؟؟ «لقد جئت شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر له الجبال هداً... فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يخفره البدار ولا يخشى عليه فوت الثار، كلا، إن ربك لنا ولهم بالمرصاد[1]».

لعلك تلمس معي في كلامها هذا، صواعق متفجرة بالتقريع والتوبيخ لأولئك الناس الذين اجتمعوا حولها، وصفعات متلاحقة لضمائرهم ونفوسهم، فتصفهم بالغدر والخذلان، والصلف والكذب، والملق والخداع.

وهي أثناء ذلك تصور لهم عظيم جنايتهم وخطيئتهم بما ارتكبوه، وخطر ما فعلوه، حين قالت: «ويلكم أتدرون أي كبدٍ لمحمد فريتم؟» إلخ...

وحين أشارت إلى خيانتهم ونكثهم العهد، وإسلامهم لذرية آل محمد إلى أعدائهم الذين هم مفزعهم وملجأهم، ومنارهم الذي يرجعون إليه، وأن عار ما ارتكبوه سيلاحقهم أبداً، ولن يغسلوا هذا العار بالدمع والبكاء، لأنه فوق الدمع والبكاء.

---

(١) نفس المهموم ص ٢٤٧، نقله عن كتاب الاحتجاج للطبرسي.

ثم أنذرتهم بخيبة سعيهم وخسران صفقتهم، وضرب الذلة والمسكنة عليهم، وبغضب الله الذي سيلاحقهم.

كل ذلك كان باسلوب الفصاحة والبيان، واسترسال يفيض بحرارة الإيمان التي عرف بها أهل البيت.

وهي تستعين في أثناء كلامها بآي من القرآن العزيز، حتى تركت أولئك الذين اجتمعوا حولها من أهل الكوفة «حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم»، ندماً وخيبة ووخز ضمير.

ومثال آخر مما حفظه الرواة لنا من كلامها بين يدي يزيد في دمشق، وهي أسيرة، ترى رأس أخيها الحسين أمامها، يعبث به في خيزرانة الماجن المستهتر يزيد بن معاوية، قالت في بدء خطبتها، تطعن كبرياء يزيد وغروره وهو في نشوة انتصاره، بأن ذلك لم يكن لكرامته على الله، ولا لهوان سليل النبوة عنده، بل إن ذلك لم يكن إلا إملاءً منه سبحانه ليزداد إثماً وبغياً.

قالت: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة... فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله عز وجل: **﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**.

ثم تمضي في كلامها توبخ يزيد على سبيه بنات النبوة وهتك ستورهن، وعلى عدم إقامته وزناً للخلق العربي الذي كانت العرب تعنى به وتحافظ عليه، وهو المحافظة على حراتر عشيرتهم وأعراض من يمتُّ إليهم بصلة القرابة. ويذكرنا تحولها هذا بقول أخيها الحسين يوم كربلاء يخاطب به جيش ابن زياد، عندما هجم على خيمته: «**إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم إن كنتم عرباً كما تزعمون**».

فتقول: «**أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبريت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولا حماتهن حمي**».

ثم تستدرك فتقول: كيف يرجى أن يرعى هذا الخلق يزيد، وهو العريق بالجرائم والآثام، والأضغان والأحقاد، الموروثة، فهو حفيد آكلة الأكباد هند أم أبيه معاوية التي مضغت كبد حمزة عم النبي يوم قُتل في واقعة (أُحد) ثم لفظتها، وشربت من دمه. وهو الذي ورث بغض آل محمد من جده أبي سفيان صاحب المواقف المعروفة ضد النبي والإسلام، ومن أبيه معاوية الذي حارب أباها يوم صفين وأعلن سبه على المنابر صباحاً ومساءاً ومع كل آذان.

فتقول: «**وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف لا يستبطأ في بغضنا ـ أهل البيت ـ من نظر إلينا بالشنف والشنآن والأحن والأضغان، ثم**

تقول غير متأثم ولا متعظم:

لأهلّـــوا واستهلـــوا فـــرحـــاً ثـــم قـــالـــوا يـــا يـــزيـــد لا تـــل

منحنيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكئها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك لدماء محمد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب».

ثم أخذت في تبكيت يزيد على إنشاده حين جيء بالسبايا والرؤوس بين يديه لأبيات ابن الزبعري:

لبـــت أشيـــاخـــي ببـــدر شهـــدوا جـــزع الخـــزرج مـــن وقـــع الأســـل

لأهلـــوا واستهلـــوا فـــرحـــاً ثـــم قـــالـــوا يـــا يـــزيـــد لا تـــل

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مضرب الأمثال زينب عليها السلام

● السيد حسين الصدر

مضربُ الأمثالِ في الصبر على الآلام زينب وكفاها رفعةً أنَّ بها الأمثال تضرب

تعب الدهر من الحزن وما كانت لتتعب وإلى واحتها الفيحاء عطرُ الفتح ينسب

* * *

اذكروني إذا رجعتم إلى الشام ففي الشام (زينبٌ) و(رقية)

وإذا لاحت القباب فرشّوا ادمعي واحملوا فؤادي تحبة

* * *